الرسالة الأولى

إن أدعية الرسول - ﷺ - عند تأملها ، تمثل معجزة ظاهرة من معجزاته - ﷺ - فقد أُوتي جوامع الكلم ، ومن تدبر الأدعية الصحيحة الثابتة عنه ، وما فيها من المعاني الرائعة الجميلة التي تجعل القلب والعقل والروح تقف مبهورة أمام هذا الجمع الهائل من حقائق الإيمان في الجمل البسيطة السهلة، والتي تدخل مباشرة إلى القلب المفتوح لها.

نسأل الله أن يشرح صدورنا ويفتح لقلوبنا عيونًا تبصر بها هذا الجمال وتُطعَم وتُسقى من معينه المُيَسَّر حتى تحيا من جديد حياة من نوع آخر وتستنير بنوره - ﷺ - الذي جعله الله له: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، ورغم تباعد السنين يصل نور هذا السراج إلى من اجتباهم الله من عباده قويًا ظاهرًا مبهرًا

فيقول المرء فكيف بمن اقترب منه زمانًا ومكانًا وعلمًا وعملاً وسلوكًا فكيف بمن رأه وصحبه كيف نصيبهم من هذا النور، فاللهم اجعل لنا في قلوبنا نورًا، وفي لساننا نورًا، واجعل في سمعنا نورًا، واجعل في بصرنا نورًا، واجعل من خلفنا نورًا، ومن أمامنا نورًا، واجعل من فوقنا نورًا، ومن تحتنا نورًا، اللهم أعطنا نورًا، فمن لم تجعل له نورًا فما له من نور.

من هذه الأدعية العظيمة المباركة دعاء النبي - ﷺ - في استفتاح الصلاة وهو حديث صحيح متفق عليه: عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبَّر ثم قال: «**وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض، حنيفًا، مسلمًا، وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أُمرت وأنا من المسلمين** - (وفي رواية: **وأنا أول المسلمين**) - **اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي، وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت**

بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك»[1].

هذا الدعاء العظيم كان النَّبيُّ ﷺ يستفتح به الصلاة.

ففي قوله - ﷺ - : «**وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين**».

«**وجهت وجهي**»: أي وُجْهتي وقصدي وإرادتي، والوجه: يطلق ويراد به الوِجهة، كما يقال سرت في هذا الوجه، ويحتمل أن يكون الوجه هو العضو المعروف، وتوجهه لازم للوجهة والقصد، والأول أظهر، وهذه الجملة موافقة لقول الخليل إبراهيم عليه السلام قال الله - عز وجل - عنه: ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا**

---

(١) رواه أحمد ومسلم والترمذي وأبو داود وغيرهم.

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

وتوجيه الوجهة لله - سبحانه - وإفراده بالقصد هو حقيقة الإخلاص والعبادة والحب والانقياد فهو تحقيق توحيد الألوهية، وإذا تأملنا أن هذه الكلمة من إبراهيم عليه السلام وقعت بعد قوله عن الكواكب: ﴿لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] وقوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧] يتبين لنا أن توجيه الوَجه لله سبحانه هو إفراده بالحب، حب العبادة الذي لا يستغنى العبد عنه طرفة عين ولذا لا يحب من يَغيب فهو يحتاج إلى الحب كل حين ويحتاج إلى هداية ربه كل لحظة وخطرة ونَفَس لا غنى له أبدًا عن إلهه ومولاه، فإذا قال العبد: «**وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض**»، استشعر حبه سبحانه وتذكر فضله بهدايته له حتى وجه وجهة قلبه إليه.

فأنت أيها العبد وَجَّهت وجهك لله لأن الله هداك ووفقك وأعانك وأخذ بناصيتك إليه حتى أحببته وعرفته،

فاطراً للسماوات والأرض: أي خالقهما على غير مثال سابق، وهذا إقرار بتوحيد الربوبية الذي هو أعظم دليل على توحيد الألوهية .

فالمتأمل لخلق السماوات والأرض يجد بلا تردد آثار العلم التام والقدرة التامة والحكمة التامة والعزة والقهر والقوة والمجد والعظمة والجمال والجلال ظاهرة تمام الظهور من الذرة إلى المجرة، ويرى توازناً عجيباً وإحكاماً وإتقاناً ويرى مُلكاً باهراً وكما كانت بداية الآيات: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:٧٥].

وإذا كان العاقل منا إذا رأى مسماراً على حائط ولو بعد وضعه بمئات وآلاف السنين لأيقن أن إنساناً عاقلاً متطوراً -كما يقولون - وصل إلى درجة من العلم ما يجعله يصنع المسمار ويبني حائطاً، ولأيقن أنه كان له غرض في دق المسمار في الحائط كما يجد الباحثون عن الآثار جراراً من الفخار وأواني فيقطعون بأنها من صنع حضارة معينة، ولا

يوجد عاقل يتصور أنها صنعت بلا صانع أو بلا هدف، فكيف بملك السماوات والأرض، تعالى الله عما يقول الجاحدون الظالمون علوا كبيرا.

وكثرة التفكر في خلق السماوات والأرض من صفات أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] فكيف يمكن أن يكون الخلق خُلقَ سدىً بلا حكمة ولا أمر ولا نهي ولا حساب ولا عقاب، ﴿**ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧)**﴾ [ص: ١٢٧].

فإذا شهد العبد ذلك وجه وجهه ولابد للذي فطر السماوات والأرض ممتثلاً أمره متبعًا شرعه راجيًا ثوابه خائفًا من عقابه ويفعل ذلك: «**حنيفًا**» أي: مائلاً إلى الله معرضًا عن غيره، وهذا الميل إلى الله هو الفطرة التي فطر الله الناس

عليها قال تعالى: ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ [الروم: ٣٠]، وقال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**إني خلقت عبادي حنفاء**»[١]، وهذه الحنيفية ملة إبراهيم التي بعث بها رسول الله - ﷺ -، هي الدليل الثاني على توحيد الألوهية.

فتوحيد الربوبية والذي يدل عليه التفكر في خلق السماوات والأرض هو الدليل الأول وهو الأكثر استعمالاً والدليل الثاني على توحيد الألوهية هو دليل الفطرة في أن العباد يجدون في أنفسهم ميلاً وحبًا لإلههم الحق ومعبودهم الذي لا شريك له ولا تطمئن قلوبهم ولا تسكن نفوسهم إلا إذا توجهت إليه وأحبته وعظّمته وخضعت له فيجد العبد في هذا التوجه والميل نفسه وحقيقة غايته في هذه الحياة والحكمة من وجوده ومصيره الذي يصير إليه،

---

(١) متفق عليه.

obeikandl.com

يجد الإجابة على الأسئلة الفطرية الضرورية: من أنا ؟

ومن أين جئت ؟

ولماذا جئت ؟

وماذا يريد مني من جاء بي وخلقني ؟

وإلى أين أذهب ؟

وإذا جرب العبد لذة التوحيد والعبادة والحب، وجد شيئًا لا نظير له في حياته كلها ووجد نعيمًا لا يدانيه نعيم آخر، ويجد راحة لا تماثلها راحة أخرى بشيء من الموجودات، ويتأكد هذا المعنى عنده بوجوب وتوحيد العبادة إذا كان قد جرب قبل ذلك الجاهلية والتوجه لغير الله، ومدى ضرره وشقاءه وعذابه به، أو تأمل أحوال غيره من البشر حوله ليرى كيف يشقون بآلهتهم الباطلة ويعانون معاناة لا نظير لها من أصنام وأوثان وشمس وقمر ونجوم ورياسة ومُلك ودرهم ودينار وكبراء ورؤساء ومُطَاعين وضعوا لهم نظريات فاسدة وأديانًا باطلة تشقى بها أجيال تلو أجيال في دنياهم قبل أُخراهم فيوقن ويزداد يقينًا بأن لا

إله إلا الله فيكون حنيفًا ويتبرأ من المشركين ويبغض طريقتهم وملتهم وصفاتهم وأعمالهم ويبغضهم ويفارقهم حتى ولو كان محتاجًا في دنياه لموافقتهم، فلذة عبوديته لربه تُسَلِّيه عن فقد بعض مصالح دنياه – مؤقتًا – بسبب هذه البراءة قبل أن ينتظمها له التوحيد والعبادة انتظامًا يجمع الله له به شمل دنياه وأخراه ويحصل له الخير والنفع في عاجله وآجله.

والمتأمل يلحظ أن كل جملة من هذا الدعاء تقود إلى التي تليها أو هي دليل لها، فتوحيد الربوبية في: «**الذي فطر السماوات والأرض**» دليل على توحيد الألوهية في: «**وجهت وجهي**»، والتفكر في خلق السماوات والأرض يبين للعبد آثار الأسماء الحسنى والصفات العلى من الجلال والجمال والمجد والعظمة فلا يجد العبد بدًا من الميل الفطري إلى الله حبًا وانقيادًا وتعظيمًا وبُعدًا عمن سواه: «**حنيفًا**»، وهذا البُعد عن من سواه من المعبودات الباطلة يستلزم بغضًا وبعدًا وبراءة منها ومن عابديها، «**وما أنا من المشركين**»

فسبحان من أحاط بكل شيء علمًا وتمت كلماته صدقًا وعدلاً وله الحمد على ما شرع لعباده وهداهم لحقائق الإيمان المتلازمة المترابطة التي تفتح كل حقيقة منها لصاحبها أبواب الحقائق الأخرى ، كمن دخل قصرًا ووجد كنزًا ، فإذا دخل غرفة من غرف القصر وجد فيها مفاتيح غرف أخرى وكلما طالع جواهر الكنز وجد معها ومنها مفاتيح كنوز أخرى ، فاللهم نور قلوبنا بحبك وزدنا علمًا ويقينًا وإيمانًا .

وقضية البراءة من المشركين في: «وما أنا من المشركين» قضية عظيمة الأهمية في عقيدة المؤمن وفي سلوكه ومعاملاته ولأن المصالح مشتبكة والأحوال متداخلة، وقد اقتضت حكمة الله أن لا يُوجد في الدنيا المثالية المنشودة بل لا يزال الخير مختلطًا – عند أكثر الناس– بالشر ولهذا كانت هذه المسألة بحاجة إلى تكرار يومي حتي تستقر في نفس المؤمن ولا ينحرف إلى ما يخالفها ، تحت ضغط مصلحة موهومة ، أو لدفع مفسدة محتملة دون مفسدة موالاة المشركين في الحقيقة، ولكن أكثر الناس الموازين

عندهم مختلة والمعاني غير واضحة فلا يحسن استعمال الميزان الذي أنزله الله مع الكتاب: ﴿**اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ**﴾ [الشورى: ١٧] بل لا يهتدي إليه أصلاً، فيزن المصالح والمفاسد بموازين العقل القاصر أو الهوى الغاوي أو التقليد الجاهل، وما أصيبت الأمة بما أصيبت به من أنواع الضرر والهزيمة والذل والهوان وتسلط الأعداء إلا من جراء تضييع الإيمان ومنه قضية البراءة من المشركين بل هذه القضية لها خصوصية في هذا الباب، إن الركون إلى الذين ظلموا بموافقتهم في باطلهم وافتراء الكذب على الله وعلى دينه وعلى رسوله بما يوافق أهواءهم يفقد العبد ولاية الله ونصرته: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ**﴾ [هود: ١١٣].

والمتأمل لتاريخ الإسلام وما حدث من مصائب كبرى في تاريخ المسلمين ابتداءً من سقوط بغداد ومروراً بضياع الأندلس وأخيراً احتلال بيت المقدس والأرض المباركة حوله

من قبل اليهود واحتلال أفغانستان والعراق وغيرها من بلاد الإسلام يجد أن الهزيمة دائمًا كانت بسبب فئة تتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين وتخون أمتها وتنصر عدوها وإلا فأمة الإسلام قادرة قدرة عجيبة - بفضل الله تعالى- على الصمود في وجه أعتى الأعداء وأقواهم ولها قوة هائلة في الثبات أمام أقوى الأسلحة وأكثر الجيوش عدداً وعُدَّة حتى تحصل الخيانة وتسقط فئة في هوة الموالاة لأعداء الله وترك البراءة منهم، فتحصل الهزيمة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فهذه القضية وكل قضايا التوحيد التي تضمنها هذا الدعاء العظيم تحتاج إلى تكرار حتى تستقر وتثبت بل تنمو وتكبر وتثمر ثمارها في حياة المؤمنين فهي الشجرة الطيبة : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [إبراهيم : ٢٤] .

قول النبي – ﷺ – : « **إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** » .

هذا امتثال من النبي – ﷺ – لأمر الله تعالى له في القرآن ولكل مُكلَّف تبعًا له – ﷺ – : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)** ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] أي من هذه الأمة والأقرب أن يقول الداعي في هذا الموضع: « **وأنا من المسلمين** » كما في رواية لمسلم فإنه لن يكون أول المسلمين من هذه الأمة ، ولا يصلح أن يكون أول المسلمين في زمنه والله أعلم .

وهذه الكلمات المباركات تذكر العبد بغايته في الحياة، التي خُلِقَ من أجلها وهي تحقيق العبودية بمعناها الشامل لكل تصرفاته وبدأ بالصلاة لأنها أعظم العبادات البدنية كما في الحديث الصحيح: « **واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة** » [١] وهي تتضمن عبادة القلب واللسان والجوارح،

(١) **صحيح** ، رواه الإمام أحمد والبيهقي والحاكم والطبراني وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٩٥٢) .

وهي قرة العين للمحبين المتابعين لسيدهم وسيد الخلق محمد ﷺ الذي قال: «**وجُعلت قرة عيني في الصلاة**»(١) وكان يقول لبلال عنها: «**يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها**»(٢) ثم ذكر النُّسُك وهو إما بمعنى الذبح كما قاله مجاهد وسعيد بن جبير والسُّدي والضحاك، أو بمعنى التعبد بجميع أنواعه فهو من عطف العام على الخاص فكل العبادات بما فيها الذبح هي لله - عز وجل - وحده لا شريك له لا يُصْرَف شيء منها لغيره كما قال تعالى: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ [الكوثر: ٢] أي اجعل صلاتك لله وحده ولا تسجد لغيره وكذلك اجعل نحرك وذبحك لله وحده لا شريك له ولا تنحر لغيره من الأوثان والأنداد والقبور أو أي مخلوق كما قال النبي - ﷺ -: «**لعن الله من ذبح لغير الله**» [رواه مسلم].

ثم ذكر المحيا والممات فالمؤمن يحيى حياته كلها لله بأن

(١) **صحيح**، رواه الإمام أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣١٢٤).

(٢) **صحيح**، رواه الإمام أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٢).

يزن كل أمورها بميزان الإسلام ويعمل فيها بشرع الله ويدعو إليه ويسعى إلى أن يَعْبُد الخلق كلهم ربهم كأفراد ومجتمعات ودول وشعوب، يسعى إلى تحقيق عبودية الفرد وعبودية الأمة وهو يموت على ذلك، ويموت أيضاً من أجله، فهو يحيى بالإسلام ومن أجله فتكون حياته لله ويموت على الإسلام ومستعداً أن يبذل روحه من أجله فيكون مماته لله رب العالمين خالقهم ومالكهم وسيدهم الحق الذي له الخلق والأمر والتشريع، وهو ينفي الشرك بقوله: «**لا شريك له**» لا شريك له في ربوبيته ولا شريك له في ألوهيته ولا شريك له في ملكه ولا مثيل له في أسمائه وصفاته والعبد يشهد ذلك ويعلمه، ويطبقه في أفعاله وأقواله فيحقق نوعي التوحيد العلمي والعملي، الإقرار والشهود، والقصد والطلب، وينزه الله عن الشريك في الحقيقة وفي شهود العبد ذلك وفي استحقاق العبادة من العباد، وهو واحد منهم فلا يشرك بالله شريكًا – أيّ شريك – في إرادته وقصده وتوجهه.

وقوله: «**وبذلك أمرت**» يستحضر به أن الله أمره بالتوحيد وأنه امتثل أمره سبحانه وأطاعه وقَبِلَه بخلاف من ردَّه وأباه: «**وأنا من المسلمين**» فهو يدخل في زمرة المسلمين، يدخل في الأمة الواحدة: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٩٢]، أمة أولها الأنبياء، وأولهم محمد - ﷺ - منزلة وقدراً، وهو أول المسلمين من هذه الأمة فهذا إعلان الاستسلام لله والإنتماء للأمة المكرمة المشرفة التي اصطفاها الله على الأمم بهذا الدين واختص أتباع محمد - ﷺ - بأن سماهم المسلمين من قَبْل خلقهم وإيجادهم وسماهم المسلمين في هذا القرآن العظيم: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ [الحج: ٧٨] فالحمد لله أن جعلنا مسلمين ونسأله سبحانه أن يتوفنا مسلمين وأن يلحقنا بالصالحين.

قوله - ﷺ - : «**اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت**»

الصراع بين الحق والباطل مستمر والمؤمنون يُمثلون في كل زمان حلقة من حلقات هذا الصراع، والقضية الأساسية في هذا الصراع هي قضية التوحيد وأن لا يُعبد إلا الله والخصومة في التوحيد مع أهل الشرك والكفر، وقد قضى الله بعلمه وكلمته أن تكون قوة المؤمنين المادية غالبًا ضعيفة خصوصًا في بداية كل حلقة من حلقاته، وأن يكون المُلك والسلطان الظاهر في الأرض فيما يبدو للناس لأعداء الله سبحانه وذلك ليستعين المؤمنون بالله ويتوكلوا عليه لا على أنفسهم وليتعبدوا له بأنواع العبودية المتعددة والتي من أهمها شهود مُلكه في السماوات والأرض، رغم ما يبدو للناس من مُلك الكفرة والظلمة. والمؤمنون جند الله، جند الملك الذي لا يُغلب، والذي لا يُمانَع ولا يُغالَب والتوسل إلى الله بهذا الاسم في الدعاء من أعظم ما يُستنزل به النصر وتثبت به الأقدام والقلوب، ويتذكر به المؤمن حقيقة الميزان في هذا الصراع ولا تغره زينة الدنيا.

كما في أثر وهب بن منبه قال الله لموسى عليه السلام :

« انطلق برسالتي فإنك بسمعي وعيني وإن معك يدي ونصري وإني قد ألبستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في أمري فأنت جند عظيم من جندي بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقي بَطَر نعمتي وأَمِنَ مكري وغرَّته الدُّنيا عني حتى جحد حقي وأنكر ربوبيتي وزعم أنه لا يعرفني فإني أُقسم بعزتي لولا القدر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشةَ جبار يغضب لغضبه السماوات والأرض والجبال والبحار [1] فإن أمرت السماء حصبته وإن أمرت الأرض ابتلعته وإن أمرت الجبال دمرته وإن أمرت البحار أغرقته ولكنه هان عليّ وسقط من عيني ووسعه حلمي واستغنيت بما عندي وحقي أني أنا الغني لا غَني غيري فبلّغه رسالتي وادعه إلى عبادتي وتوحيدي

(١) صاعقة صغيرة أحرقت محطة كهرباء الأمريكان ، أرعبت ٦٠ مليونًا من البشر وقلبت حياتهم رأسًا على عقب وعطلت كل إمكانياتهم ـ سبحان الله العظيم الحليم ـ واقعة ظلام في ١٦ جمادى الثاني ٢٤– ١٤ أغسطس ٢٠٠٣ (آية من آيات الله عظيمة وهي من أصغر آياته) .

وإخلاصي وذكره أيامي وحذره نقمتي وبأسي وأخبره أن لا يقوم شيء لغضبي وقل له فيما بين ذلك قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى وأخبره أني إلى العفو والمغفرة أسرع مني إلى الغضب والعقوبة ولا يروعنك ما ألبسته من لباس الدنيا فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني، وقل له أجب ربك فإنه واسع المغفرة، وقد أمهلك أربعمائة سنة (الله أعلم بعمر فرعون) في كلها أنت مُبَارِزُهُ بالمحاربة تسُبُّه وتتمثل به وتصد عباده عن سبيله وهو يُمطر عليك السماء ويُنبت لك الأرض لم تسقم ولم تهرم ولم تفتقر ولم تُغلب ولو شاء الله أن يُعَجِّل لك العقوبة لفعل ولكنه ذو أناةٍ وحلم عظيم وجاهده بنفسك وأخيك وأنتما تحتسبان بجهاده فإني لو شئت أن آتيه بجنود لا قِبَلَ له بها لفعلت ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذي قد أعجبته نفسه وجموعه أن الفئة القليلة – ولا قليل مني – تَغْلب الفئة الكثيرة بإذني ولا تعجبنكما زينته ولا ما مُتِّع به ولا تمدا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين

ولو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة ليعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أُوتيتما فعلتُ، ولكني أرغب بكما عن ذلك وأَزْوِيه عنكما وكذلك أفعل بأوليائي (اللهم اجعلنا منهم يا رب)، وقديمًا ما جرت عادتي في ذلك إني لأذودهم عن نعيمها وزخارفها كما يذود الراعي الشفيق إبله عن مبارك الغرة (الغرور) وما ذاك لهوانهم عليّ ولكن ليستكملوا نصيبهم في دار كرامتي سالمًا موفورًا لم تُكْلِمْه (أي لم تجرحه وتُنْقِصْه) الدنيا واعلم أنه لا يتزين لي العباد بزينة هي أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا فإنها زينة المتقين، عليهم منها لباس يُعرفون به من السكينة والخشوع وسيماهم في وجوههم من أثر السجود أولئك أوليائي حقًا فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل قلبك ولسانك واعلم أنه من أهان لي وليًا أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وبادأني وعرَّض لي نفسه ودعاني إليها وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي أم يظن الذي يعاديني أن يُعجزني أم

يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني وكيف وأنا الثائر (أي الذي يأخذ بثأرهم) لهم في الدنيا والآخرة ولا أكل (أترك) نصرتهم إلى غيري» رواه ابن أبي حاتم.

إن هذه المعاني ليجتمع ما يمن الله به منها أو كلها أو أكثر منها في قلب العبد المؤمن وهو يقول: «**اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت**» ويثني على ربه بهذا الثناء العظيم، والذي يتكرر بعد ذلك في الفاتحة: ﴿**مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة: ٣] وهو مالك كل الأيام وإنما خُصَّ يوم الدين لأنه الذي يظهر فيه ذلك للجميع دون منازعة ولا حتى في الاسم، وإنما كان في الدنيا في قلوب المؤمنين وشهودهم دون غيرهم، وإن حاجة المؤمن بل ضرورته لتمرير هذا المعنى على قلبه بل لترسيخه وثبوته حتى يستحضر أن ما يفعله الأعداء إنما هو بأمر مليكه المقتدر ليختبره في ذلك أيفرده بالألوهية والعبادة والحب والخضوع والطاعة لا إله إلا هو أم يغفل ويظن أنهم يملكون فيتابعهم على الباطل، اللهم إنا نعوذ بك من ذلك.

قول النبي - ﷺ - : « **أنت ربي وأنا عبدك** » شهود الربوبية بعد شهود المُلك والأُلوهية ، والثناء على الله باسم الرب مضافًا إلى ضمير المتكلم المفرد : « **ربي** » له طعم خاص عجيب جميل في استشعار الإصلاح الخاص والحفظ الخاص والتدبير لأمر العبد وافتقار العبد إلى ربه وما لا يُحسن التعبير عنه اللسان والقلم خصوصًا ما يأتي بعدها من التوسل إلى الله بأعظم عمل صالح يفعله مخلوق وهو (العبودية) : « **وأنا عبدك** » فأنا أتوجه إليك بكلي وأنا فقير إليك في كل ذرة من ذراتي فَتَوَلَّ أمري .

قوله - ﷺ - : « **ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفرلي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت** » .

إن وقوف القلب منكسرًا ذليلاً بين يدي ربه من أعظم أسباب جَبْرِه، وأعظم أسباب محبته لربه، **وهذا الذل يحصل للعبد من عدة جهات كلها مطلوبة :**

[١] ذُل الفقر والحاجة : فالله الرب هو الغني والعبد مربوب فقير بمقتضى كونه مخلوقًا فقيراً إلى النَفَس والطعام والشراب والكسوة فقير في نبض قلبه

وجريان الدم في عروقه ، فقير في مخه وعظمه وسمعه وبصره وفؤاده وفي كل جزء من أجزائه وفي كل شأن من شئونه .

[٢] ذل العبادة الذي يتحقق للعبد بقوله : « **إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين** »، وبقوله : « **وأنا عبدك** » فإن العبادة خصوصاً هيئات القيام والركوع والسجود ، والسجود خصوصاً يجلب للعبد ذُلاً وانكساراً لا يحصل له بغيرها .

[٣] وذل الابتلاء والمحنة : التي لا يملك العبد له دفعًا إلا بالله – عز وجل – ولا يجد قوة على رفع الضُّر عن نفسه وأهله ولا تحويله إلا أن يكشفه الله أو يُحَوِّلَه .

[٤] وذل الحب المتضمن في معنى (الإله) فهو المحبوب لذاته الذي يذل له العبد فالحب يؤدي إلى الذل والذل يؤدي إلى الحب ويزيد كل منهما في الآخر فيظل العبد في ارتفاع وسمو، والحب يُذِل المحب لمحبوبه قطعًا .

[٥] يبقى ذل الذنب وانكساره وشعور العبد بظُلْمِه لنفسه ثم إقراره واعترافه بقلبه ولسانه أنه قد أذنب وشعوره بأنه لاينجيه ولا يخلصه من ذنبه ولا يغفره له إلا الله فيتوسل إليه بهذا الذل: «**ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»

فيحصل له بذلك نوع من العبودية خاص لا يشبهه شيء آخر. من أجله قدَّر الله الذنوب على عباده المؤمنين وأوليائه المتقين بل على أنبيائه المرسلين وإن كانت ذنوبهم تختلف عن ذنوبنا، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٣٥] وقال النبي - ﷺ -: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بعباد يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم**»[١] فاللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا

(١) **صحيح**، رواه الإمام أحمد بلفظ قريب وصحح رواية الإمام أحمد العلامة الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٣٠١).

أنت فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم.

ثم لنتذكر أن هذه الكلمة كان بها نجاة الأبوين وتوبة الله عليهما: ﴿**قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٣] ومن شَابَهَ أباه فما ظلم، وهي مع التوحيد كلمة النجاة من كل غم لكل مؤمن فهي دعوة يونس - عليه السلام - : ﴿**فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾.

[الأنبياء: ٨٧].

قوله - ﷺ - : «**واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»، الأخلاق منها وهبي جبلي يُفطر عليه الإنسان حسبما كان قبيحًا أو حسنًا ومنها كسبي عملي، يسعى إليه الإنسان بجهده ويتخلق به فييسر الله من شاء لما شاء، وكلا النوعين بيد الله وهما من عطائه ورزقه، ورزق الإنسان في الأخلاق أهم وأخطر بكثير من رزقه في المال

والجاه الدنيوي، والنوع الأول قابل للتأثير عليه والتغيير وإن كان الأثر فيما يُخالف ما جُبل عليه الإنسان ليس كقوته فيما يوافق، لكن لو لم يكن ممكنًا التأثير لما كان هناك معنى لمدح حسن الخلق والتكليف به وذم سوء الخلق والتحذير منه، وإن العبد لن يجد وسيلة لتحسين خلقه أعظم ولا أهم ولا أكبر أثرًا بل في الحقيقة لا وسيلة غيرها إلا بها من لجُوئه إلى الله سبحانه سائلاً له الهداية إلى أحسن الأخلاق فإنه مقلب قلوب العباد يقلبها كيف يشاء، وهو آخذ بنواصيهم ليس يقدرون على شيء إلا به سبحانه، وكذلك أن يسأله أن يصرف عنه سيء الأخلاق فإنه لا يصرف عن العبد سيئها إلا هو سبحانه فهو الذي يلهم النفوس فجورها وتقواها فيجعل في هذه النفس الفجور وفي تلك الأخرى التقوى ولهذا كان هذا الدعاء العظيم وهو مثل قول النبي - ﷺ -: «**اللهم آتِ نفسي تقواها وزكِّها أنت خير من زَكَّاها أنت وليُّها ومولاها**»(١) وتزكية العبد لنفسه

(١) **صحيح**: رواه الإمام مسلم والإمام أحمد بلفظ «**رب أعط نفسي تقواها**».

لن تثمر ثمرتها إلا أن يُزكي الله نفسه فتزكيته – عز وجل – خير تزكية هو الولي والمولى سبحانه وبحمده .

وأنقل هنا ما كتبته في سورة يوسف في أحسن الأخلاق أخلاق الرسل تذكيراً لنفسي وأهلي وبَنِيَّ وأحبابي بها عسانا نجتهد في حسن الخلق ونسأل الله أن يهدينا إليه :

الصدق في القول والعمل مع الله ومع الناس وترك الكذب بالكلية والصبر واحتمال الأذى من الخَلْق والحلم عنهم وكظم الغيظ وكف الأذى باللسان واليد والقلب وعدم الانتقام للنفس إلا أن تُنتهك حُرمات الله تعالى والأناة والتمهل وعدم الطيش والعجلة والعفة عن المحارم وعما في أيدي الناس وعن سؤالهم واجتناب القبائح والفواحش وهي الأفعال والكلمات الفاحشة الظاهرة السوء خاصة ما يتعلق بالعورات كالشتائم ونحوها وهذا بالقول وفي العمل وفي الأموال والأعراض كما كان يقول عبد الرحمن بن عوف في طوافه اللهم قني شُحَّ نفسي ويقول إذا وُقيت شح نفسي لم

أسرق ولم أزن ولم أفعل لأن كل ذلك عدم عفة وتطلُّع إلى ما في أيدي غيرك، والحياء والكرم والجود والسخاء وترك البخل والغيبة والنميمة وخيانة الأعين وهو تطلعها إلى ما لا يحل خلسة، والشجاعة وعزة النفس والبذل في الحق والتضحية والقوة في الحق، والاستعداد لبذل المحبوب الغالي على النفس وإخراجه ومفارقته عند أمر الله بذلك والوفاء بالعقود والعهود والأمانات للأهل والأرحام والأصدقاء والبر والصلة والإحسان إلى الخلق والعدل والتوسط في شيم النفس بين الإفراط والتفريط.

فالجود وسط بين التبذير والبخل والشجاعة وسط بين الجبن والتهور والحياء وسط بين الوقاحة والعجز، والمهانة والخور والحلم وسط بين الغضب والمهانة والذل وسقوط النفس.

والتواضع والعزة المحمودة وسط بين الكبر والهوان، والقناعة وسط بين الحرص والكَلَب والتنافس على الدنيا وبين الخسَّة والمهانة والتضييع وترك التنافس على المراتب السامية من طاعة الله ومرضاته، والصبر وسط بين الجزع

والهلع والتسخط وبين القسوة والغلظة وتحجر الطبع والفظاظة، والرحمة وسط بين القسوة والضعف والجبن وترك أوامر الله التي أمر فيها بأن لا تأخذ العباد فيها رأفة في دين الله، وطلاقة الوجه والتبسم والبِشر وسط بين التعبيس والتقطيب وتصعير الخد، وإمالته تكبراً وعجباً وطي البِشْر عن البَشَرِ وبين الاسترسال في الضحك في كل موقف ومع كل أحد حتى تزول الهيبة والوقار.

ومن الأخلاق الحسنة : الإيثار بالدنيا ومقابلة الإساءة بالإحسان وسرعة العفو والصفح وقبول المعذرة والمروءة في اللسان بحلاوة المنطق وطيبه ولينه والمروءة في الخلق بسعته وانشراح الصدر في معاملة الخلق ، وفي المال ببذله في مواقعه المحمودة شرعاً ، وفي الجاه ببذله للمحتاج إليه .

والقرب من الخلق بحيث يجدونه في أزماتهم ومشاكلهم، يحمل الكَلَّ ويُكسب المعدوم ويقري الضيف ويُعين على نوائب الحق ويحسن إلى الخادم والمملوك، فضلاً عن الأهل والأقارب والجيران والمعاملين، يجالس المساكين

ويجيب الدعوة ولو إلى شيء يسير .

ويمشي مع الأرملة والمسكين واليتيم في حوائجهم، يبدأ بالسلام من لقيه، خفيف المؤنة على من صحبه لا يُكلف غيره مؤنته، هينًا لينًا سهلاً يعود المريض ويشهد الجنازة ويرد السلام ويشمت العاطس، وينصح السائل، ويعطي من حرمه ويصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه.

لا يتكبر ولا يحسد ولا يتعالى على الخلق ولا يبغي ولا يفخر ولا يغش ولا يتبع الشهوات ولا يُخاصم لنفسه ولا يعاتب أحداً في حقها بل لله – عز وجل –، ولا يُماري ولا يجادل إلا بالتي هي أحسن، ولا يستقصى حقه، ويُغضي الطرف عن عيوب من أساء إليه فضلاً عمن سواه إلا لحق الله تعالى، ويتغافل عن عثرات الأهل والأصحاب والناس مع إشعارهم أنه لا يعلم لهم عثرة .

يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأتي إلى الناس أفضل ما يُحب أن يأتوه إليه ويُحسن عِشرة كل من عاشره من أم وأب وبنت وابن وأخت وأخ وقريب وجار وامرأة وصاحب

ومملوك وكل من يعامله، فالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ونلحظ هنا مدى الارتباط بين حقائق التوحيد والإيمان وبين مباديء الأخلاق والسلوك فالدعاء بدأ بتقرير التوحيد والثناء على الله بملكه وألوهيته وربوبيته ثم باعتراف العبد بعبوديته وهذا أفضل عمل يتوسل به مع اعترافه بذنبه ثم يدعو بمغفرة الذنوب والهداية لأحسن الأخلاق وصرف سيئها ، ولو واظب كل منا على هذا الدعاء يومياً مع استحضار معانيه في قلبه وافتقر إلى الله الافتقار التام كما يتضمنه الدعاء لانحلت مشكلة من أكبر مشاكل الالتزام الحقيقي وهي مشكلة تخلف الأخلاق والسلوك عن الالتزام الظاهري في الهيئة، أو الاكتفاء بمجرد إعلان الالتزام دون أن يتحول هذا الإعلان إلى تفاصيل يعيش بها المرء في حياته بدلاً من الأخلاق التي كان يعيش بها في جاهليته، وهذه المسألة دالة بلا شك ـ عند وجودها ـ على نقص الإيمان فإن رسول الله – ﷺ – قال: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحاسنهم**

أخلاقًا » فليس منهج أهل السنة مجرد قضايا فكرية يُحسن الإنسان صياغتها والرد على المخالفين فيها كما أن الالتزام بالسنة ليس مجرد شكل وهيئة يحافظ عليها الإنسان بل الإيمان قول وعمل، عقيدة وسلوك، وقد أدرك علماء الأمة مدى أهمية هذا الارتباط بين الإيمان والأخلاق فوضعوا في مختصرات عقائدهم مع أصول الإيمان، الأمر بمكارم الأخلاق والنهي عن مساويها فهم يرون وجوب بر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران والمعاملين ويأمرون بالصدق والعفاف وأداء الأمانة، وغير ذلك من مكارم الأخلاق التي بعث النبي – ﷺ – ليتممها، مما هو معلوم في مختصرات العقيدة ولنراجع على سبيل المثال لا الحصر العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ستجد الأمر واضحًا جليًا .

قول النبي – ﷺ –: « **لبيك وسعديك** » هذه التلبية، وهي تلبية من غير المحرم، لا تختص بحال أو زمن أو مكان، كنز عظيم يفجر في القلب ينابيع الحب والشوق إلى الله

سبحانه فإن الإنسان الصغير الضعيف الفقير المحتاج الذي لا يشغل من الزمان ولا من المكان شيئًا يذكر، بل وجوده كالهباءة المنثورة إذا استشعر أن الله سبحانه الخالق العليّ الكبير العظيم الغني الأول الآخر الظاهر الباطن القوي العزيز يريده ويناديه ـ على ألسنة رسله وفي كتبه المنزلة ـ يريده لعبادته ومحبته واصطفاه من بين خلقه لنوع خاص من العبودية إذ أوجده في وسط المخالفات ليعرفه ويعبده، فالعبد في نفسه مخالفاتٌ: شهوات ورغبات محرمة ، وحوله مخالفات: شياطين الإنس والجن وأعمالهم ، ومكرهم وكيدهم، وهو سبحانه اجتباه من دون ذلك وخصه بأعلى أنواع التكريم وأمره ونهاه ودعاه إليه في دار السلام وهداه الصراط المستقيم، فأنت أيها المؤمن كنت مراداً حتى تكون مريداً مخلصًا، وأُخْلِصْتَ فَأَخْلَصتَ كنت قبل وجودك من أهل قبضة اليمين وعرفك الشيطان فاستثناك من الإغواء حين قال: ﴿ **فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [ص: ٨٢] فأنت من المخلَصين حتى تكون من المخلِصين، وربك يناديك فما أجمل وما أعظم وما أحلى أن

تقول: «**لبيك**» أنا يا رب ذاهب إليك مجيب لأمرك بقلبي وبدني: ﴿**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [الصافات: ٩٩] هل تحاول استشعار معنى: ﴿**إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي**﴾ ومعنى الهجرة بالقلب والسفر إليه في قول النبي - ﷺ - «**المهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»(١).

فهي إذا ليست فقط هجرة بالبدن بل بالقلب أولاً، وفي قوله - ﷺ -: «**عبادة في الهرج كهجرة إليَّ**»(٢) فلماذا كانت العبادة في الفتن تماثل ثواب الهجرة إليه - ﷺ -؟ لأنها هجرة بالقلب إلى سنته وطريقته في عبادة الله، فهل نلج وندخل باب هذا الفضل العظيم في زمان الفتن؟ فرصة عظيمة أن نكون من المهاجرين فهل نغتنمها؟: «**لبيك وسعديك**»، وليست الإجابة لله سبحانه مرة واحدة ثم تنقطع بل هي إجابة بعد إجابة، وإقامة بعد إقامة على طاعته، ومساعدة بعد مساعدة لأمره والمقصود بالمساعدة الكون في أمره وخدمته وليست بمعنى المعاونة التي في حق البشر بل الإسعاد معناه أن يكون في الخدمة والطاعة وإن

(١) رواه البخاري.
(٢) حديث صحيح.

كان لفظ الخدمة لم يرد في الكتاب والسنة فنختار عنه لفظ العبادة والطاعة والانقياد لأمره سبحانه مرة بعد مرة، أي هو قد أعلن الإجابة وواظب عليها وأقر بالطاعة وامتثال الأمر وواظب على ذلك، قال آمنت بالله ثم استقام كما أخبر سبحانه عن عباده المؤمنين: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصلت: ٣٠]، وكما قال النبي - ﷺ -: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»(١)، وهذه التلبية يحتاج إليها المؤمن دائمًا ولذا شرعت في هذا الدعاء كما شرعت في الحج والعمرة وقد قال الإمام أحمد لا بأس بالتلبية للحُلاَّل، وهذا الحديث دليل على مشروعية ذلك، والله أعلم.

وهي من الأذكار العظيمة التي تُعَرِّف العبد حقيقة السلعة التي معه، روحه ونفسه فليضن بها أن يبيعها لغير الله بالثمن البخس، وشعور العبد بأن الله أراده يجعله يكاد يذوب حبًا وشوقًا لله سبحانه وانقياداً وذلاً، يجعله مجيبًا على الفاقة أي مجيبًا لأمره سبحانه مستشعراً شدة فقره

(١) رواه مسلم.

وفاقته إلى الله في هذه الإجابة، أي يحقق إياك نعبد بالإجابة، وإياك نستعين بالفاقة والفقر إلى الله إلهًا معبودًا محبوبًا فأي منة أجل من هذا، وهل نستحق كل هذا العطاء؟ إنما هو محض الجود والكرم والمن.

قال ابن القيم - رحمه الله - :

فما كل عين بالحبيب قريرة

ولا كل من نودي يجيب المناديا

قرة العين كناية عن الراحة والسرور والطمأنينة التامة وعدم التطلع إلى ما سوى المحبوب ، فليست كل العيون قريرة بالله سبحانه بل إنما خَصَّ سبحانه بذلك خواص خلقه الذين وجدوه سبحانه - أي وجدوا حبه وقربه والطريق الموصل إليه حتى تكون نهايته النظر إلى وجهه في الدار الآخرة، فمن قرت عينه بالله إذا وجده فليحمد الله على أجلِّ نعمة، ومن أجاب داعي الله فليدرك قدر هذه المنة فليس كل أحد يجيب المنادي والداعي إلى الله وأنت أيها المؤمن أجبت ، ووجدت وتلذذت بالعبادة وذقت طعم

الإيمان فاللهم نسألك مزيد فضلك ورحمتك ، وحبك ورضوانك ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين .

ومن لا يُجب داعي هُداك فخله ... يُجِب كل من أضحى إلى الغي داعيا

وقل للعيون الرمد إياك أن تَرىْ ... سنا الشمس فاستغشى ظلام الليالیا

وسامح نفوساً لم يهبها لحبهم ... ودعها وما اختارت ولا تلك جافيا

وقل للذي قد غاب يكفى عقوبة ... مغيبك عن ذا الشأن لو كنت واعيا

ووالله لو أضحى نصيبك وافرا ... رحمت عدواً حاسداً لك قاليا

ألم تر آثار القطيعة قد بدت ... على حاله فارحمه إن كنت راثيا

خفافيش أعشاها النهار بضوئه ... ولاءمها قِطْع من الليل باديا

فجالت وصالت فيه حتى إذا النـ ... ـهار بدا استخفت وأعطت تواريا

فيا محنة الحسناء تُهدى إلى امرئ ... ضرير وعنِّين من الوجد خاليا

إذا ظلمة الليل انجلت بضيائها ... يعود لعينيه ظلاماً كما هيا

فضن بها إذ كنت تعرف قدرها ... إلى أن ترى كفؤاً أتاك مواتيًا

فما مهرها سوى الروح أيها الـ ... ـجبان تأخر لست كفواً مساويا

فكن أبداً حيث استقلت ركائب الـ ـمحبة في ظهر العزائم ساريا
واربح ولا تخش الظلام فإنه سيكفيك وجه الحبِّ في الليل هاديا
وسقها بذكراه مطاياك إنه سيكفي المطايا طيب ذكراه حاديا
وعِدْها بِرَوح الوصل تعطيك سيرها فما شئت واسْتَبِق العظام البواليا
وأقدم فإما مُنْيةٌ، أو مَنِيَّةٌ تريحك من عيش به لست راضيا
فما ثَمَّ إلا الوصل أو كلف بهم وحسبك فوزاً ذاك إن كنت واعيا
أما سَئِمَتْ من عيشها نفس واله تبيت بنار البعد تلقى المكاويا
أما موته فيهم حياة؟ وذُلّه هو العز والتوفيق مازال غاليا
أما يستحي من يدعي الحب باخلاً بما لحبيب عنه يدعوه ذا ليا
أما تلك دعوى كاذب ليس حظه من الحب إلا قوله والأمانيا

قوله - رحمه الله - :

ومن لا يجب داعي هداك فخلّه
يُجِبْ كلَّ من أضحى إلى الغي داعيا

يعني أن من لا يستجيب لداعي الهدى الذي أنت عليه أيها المؤمن المحب فخله أي اتركه ولا تنشغل به فإنها نوعية

من البشر لا تصلح قال تعالى: ﴿ **فتولَّ عنهم فما أنت بملوم** ﴾ [الذاريات: ٥٤] فبعد تكرار البيان وتوضيح الدعوة إذا كان الإعراض وعدم الإجابة هو النتيجة فاعلم أن الله لا يريد به خيراً فاتركه وانشغل بغيره لأن هذا الإنسان المريض بل الميت سوف يجيب كل داعٍ إلى سبل الغواية ويقبل الباطل ويحبه: ﴿ **أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون** ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وقوله:

وقل للعيون الرُّمْدِ: إياك أن ترى

سنا الشمس فاستغشى ظلام الليالي

يعني أن من لم ير هذا الحق الذي هو أوضح من نور الشمس وهو دين الله الذي ابتعث به رسوله فعينه هي المريضة بها رمد عين قلبه فلا يبصر الحقيقة فقل له على سبيل الاستخفاف به أنت لا تصلح لرؤية نور الشمس نور الحق وإنما يناسبك الحجاب والغطاء والظلام مثل ظلمة الليالي: ﴿ **والَّذين كسبُوا السَّيِّئَات جزاءُ سيِّئةٍ بمثلها**

وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [يونس: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ [النور: ٤٠]، ومعنى استغشى أي تغطى بظلمة الليل الذي أنت فيه ليل الكفر والظلم والفسوق والعصيان والنفاق.

وسامح نفوساً لم يهبها لحبهم

ودعها وما اختارت ولا تك جافيا

قال تعالى: ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون ﴾ [الجاثية: ١٤] فهذه المسامحة والصفح والعفو في الدنيا وعدم الانتقام من أصحاب النفوس التي لم يهبها الله من فضله ولم يهيئها لحبه - عز وجل - (لحبهم: الجمع هنا للتعظيم) واترك هذه النفوس وما اختارته من طرق الضلال والغي فإنهم

مساكين (المسكنة المذمومة) هم في شقاء وعذاب فلا تكن جافيا أي غليظًا عليهم فوق ما هم فيه من العذاب والنكد وليس المقصود عدم الغلظة في المعاملة التي أمر الله بها عند جهادهم: ﴿ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٣]، ﴿ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ [التوبة: ١٢٣] بل هذه الغلظة عليهم رحمة بهم في الحقيقة لعلهم يرجعون، وإنما المقصود والله أعلم لا تكن متمنيًا لهم الضلال والهلاك وتحدث نفسك بالانتقام منهم لنفسك عقوبة لهم على ما ظلموك يكفيهم عقوبة ما هم فيه من البعد عن الله.

وقل للذي قد غاب: يكفي عقوبة

مغيبك عن ذا الشأن لو كنت واعيا

فلو لم يكن من عقاب للكفرة والظلمة الذين غابوا عن حب الله ومعرفته وعبادته بشهواتهم الوقتية المملوءة بالتعب والنقص لكفى بها عقوبة، فمغيبهم عن هذا الشأن شأن الإجابة لأمر الله والمحبة له هو أشد عقاب وحجاب قلوبهم عن الله، أقسى عذاب كما أن حجابهم عن الله يوم القيامة

أشد عذابهم: ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ [المطففين: ١٥] لو كان الغائب هذا واعيًا عاقلاً لأدرك أنه في عقوبة، ولكنه لا يدري ولا يعقل ولا يعي.

ووالله لو أضحى نصيبك وافرًا

رحمت عدوًا حاسدًا لك قاليًا

أي لو أصبح نصيبك أيها المؤمن من الإيمان والحب والعبودية لله وافرًا كبيرًا لرحمت أعداءك الحاسدين لك الكارهين (القالي الكاره المبغض) الذين يؤذنوك ويحقدون عليك، ورحمة الأعداء المؤذين للمؤمنين والشفقة عليهم لما هم فيه من الجهل سنة ماضية عن الأنبياء وأتباعهم قال الخليل - عليه السلام -: ﴿ **فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء ضربه قومه حتى أدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[1]، وقال تعالى

(١) **حديث صحيح**، رواه مسلم باب غزوة أُحُد.

عن مؤمن آل ياسين: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧] هذا ما لم يمت على الكفر أو يُعلم الله نبيه بوحي أن هذا العدو يموت كافراً قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤] وذلك حين مات كافراً، وقال موسى وهارون -عليهما السلام- في دعوتهما على فرعون وجنده: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، وقال تعالى عن نوح: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] فلا تعارض بحمد الله فالأولى للمؤمن طالما بقي عدوه حيًا أن لا يتمنى هلاكه على الكفر وأن لا يدعو عليه بذلك بل يرحمه لما هو فيه من العذاب، عذاب الحسد لأهل الإيمان، فإن الحسد قاتل لسعادة الإنسان وحياة قلبه مانع من الإيمان، وعذاب كراهية الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ، وحب الباطل، فإنه يقتضي كره العبد لنفسه ومقته لها إذ

مقته الله – عز وجل – وأبغضه فأبغضه كل شيء حتى نفسه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠]، وقال النبي ﷺ: «**إن الله إذا أبغض عبداً نادى جبريل إني ابغض فلاناً فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي جبريل في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه فيبغضه أهل السماء ثم توضع له البغضاء في الأرض**» [رواه البخاري] وقال تعالى: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ**﴾ [الدخان: ٢٩]، وقال النبي ﷺ: «**وأما الكافر فيستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب**» [متفق عليه]، فلو كان نصيبك أيها المؤمن من الإيمان وفيراً كبيراً لنظرت لمن آذاك في الله بعين الاشفاق إذ هو المحروم من أعظم نعيم الدنيا والآخرة شقي في الدارين وأنت مَنَّ الله عليك بأعظم عطاء فارحم من حسدك واعف عمن ظلمك وصل من قطعك واعط من حرمك فإنك بذلك آخذ أضعاف أضعاف ما أُعطيت.

قوله :

ألـم تر آثـار القطيعـة قـد بـدت

على حاله فارحمه إن كنت راثياً

ألا ترى أثار المعاصي والذنوب والكفر والنفاق والانقطاع عن الله، عن أمره وإجابة داعيه والعمل بشرعه، ظاهرة على وجوه الكفرة والظلمة والفسقة وعلى أحوالهم كلها ألا ترى كيف يقضون أوقاتهم في النكد والعذاب، لا يجدون راحة إلا بغياب عقولهم بالسكر سكر الخمر والمخدرات وسكر الشهوات حتى ينسوا ما هم فيه من البلاء فارحمهم إن كنت ترثي لأحد وتتوجع على مُتَألِّم جريح بل مقتول فاشفق عليهم ولا تتمنى مزيد عذابهم.

خفافيش أعشاها النهار بضوئه

ولاءمها قطع من الليل بادياً

هؤلاء الظلمة وأهل البدع والغي والضلال مثل الخفافيش التي يعميها ضوء النهار أي نور الوحي المنزل ، نور الإسلام والهدى إذا ظهر تألمت وعميت عيونها عن رؤيته ولا تحب

النور ، هؤلاء والله منهم العلمانيون المنافقون الذين يكادون يموتون كمداً حين يروا ظهور الإسلام وعودة الناس إليه، واليهود والنصارى والمشركون وأذنابهم أعداء الدين لا يلائمهم ولا يناسبهم إلا فترات الظلام فترات غياب ظهور الشريعة في الأرض لا يستريحون ولا يطمئنون ـ وما هم بمطمئنين أبداً ـ إلا بذلك، وهيهات لهم فلا يزال الله يظهر الحق ويعلي الدين: ﴿ **أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٤٤]، لاءمها: وافقها، باديًا: ظاهراً .

فجالت وصالت فيه حتى إذا
النهار بدا استخفت وأعطت تواريًا

هؤلاء المجرمون يجولون ويصولون ويمرحون ببباطلهم في فترات انتصار الباطل المؤقت والذي قدره الله ـ وليس من صنعهم هم ـ امتحاناً لعباده المؤمنين ليعبدوه في فترة الإحراق قبل أن تأتي مدة الإشراق فكما أن الليل والنهار من خلق الله فالاستضعاف والتمكين ومداولة الأيام بين

الناس هي من أفعاله سبحانه وإنما يصول أهل الكفر والظلم في الظلام ، يظنون أنهم هم الذين صنعوه ومنعوا ظهور الإسلام ، وليس والله في قدرتهم : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢ - ٣٣]، فسوف يطلع النهار وسوف يشرق النور - نور الدين الحق - ولو كره الكافرون، وعند ذلك ستختفي الخفافيش وتتوارى وتُسلم بالاختفاء والتواري، وإنما قدر الله ذلك ليعلم من يجيب في فترة الإظلام ويسير إليه سبحانه، رغم الظُلمة والظَلمة وإلا فعند ظهور نور الشمس يستيقظ كل الناس.

قوله :

فيا محنة الحسناء تُهدى إلى امرىء
ضرير وعِنّين من الوجد خاليًا
إذا ظلمة الليل انجلت بضيائها
يعود لعينيه ظلامًا كما هيا

يُشبّه - رحمه الله - مسألة المحبة إذا ألقيت على سمع مبتدع أو كافر أو منافق، أو غارق في شهوات نفسه البهيمية والإبليسية كحسناء وضيئة زُفّت إلى رجل أعمى وعنين لا قدرة لها على معاشرة النساء خالي من الحب، ما أبغضه من شخص وما أسوأ معاملته للحسناء لا يمكن أن يعاشرها ولا أن يرى جمالها حتى إن جمالها ليذهب ظلمة الليل ـ فجمال مسألة المحبة والعبودية لله يضيء ظلام ليل القلوب ولكن الأعمى لا يرى والعِنّين لا يعاشر والخالي من الحب لا يحب أحداً فأنّى يَقبل هذه المسألة وكيف يجد لها طعماً، وكيف يفهم منها معنى أو يذوق لها حلاوة أو يرى قبسها فإنها ككتاب الله لأنها منه: ﴿**لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾ [الواقعة: ٧٩] فلو كلمت واحداً من هؤلاء عن العبودية والحب وعن (لبيك وسعديك) عاد الضياء في عينيه ظلاماً وبقيت عينيه مظلمة كما هي من قبل عرض هذه المسألة عليه، فإذا كان الأمر كذلك فلا نُعرضها عليه ولا تحاول معه طالما وجدت إعراضاً.

فضنّ بها إن كنت تعرف قدرها

إلى أن ترى كفؤا أتاك مواتيا

فابخل بهذا العلم عن غير أهله، إن كنت تعرف قدره وليس معنى ذلك عدم عرضه على الخلق ابتداءاً بل لابد من البيان ولكن إذا وجدت الإعراض والغفلة والعمى فابتعد عنهم حتى تجد من يصلح لهذا الشأن وعلمه هذا العلم وبينه له فهو الذي يقبله وهو كالكفؤ للحسناء أتاك مواتيًا: أي موافقًا على بذل مهر المحبة وهو التضحية والبذل للنفس والمال.

فما مهرها شيء سوى الروح

أيها الجبان تأخر لست كفؤا مساويا

إذا أردت أن تكون محبًا محبوبًا فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، فنفسك وروحك إذن إن كنت قبلت البيع ليست ملكًا لك فسلمها لمالكها يفعل بها ما يشاء وهو قد وعدك أنه يحفظها عليك ويردها عليك أوفر مما كانت، أما من لا يريد البذل ولا التضحية ولا يريد أن يصاب في سبيل الله فهو الجبان عن البذل فليتأخر

فليس أهلا للمحبة ولا صالحًا لهذا البيع لست كفؤا لهذه المسألة العظيمة لا تصلح لها ولا تصلح لك: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

فكن أبدًا حيث استقلت ركائب

المحبة في ظهر العزائم ساريًا

فكن أيها المؤمن حيث أمرك الله شرعًا أن تكون وافعل ما يحبه الله وما يقتضيه حبه من اتباع رسوله - ﷺ - فهذا الحب يحملك حملاً إلى المنازل العالية في أسرع وقت وفي أهنأ سفر وأكثره راحة بلا عناء ولا تعب وسر دائمًا بالعزيمة والإرادة الجازمة لوجه الله فالإرادة الصادقة منك له سبحانه على ظهرها تسير إلى بلاد الأفراح، استقلت أي سارت، كن أبدًا: أي دائمًا .

وأدلج ولا تخشى الظلام فإنه

سيكفيك وجه الحِب في الليل هاديًا

يقول سرْ في الليـــل، سر والناس نيام : استجب لله وأكثر الخلق لم يستجيبوا بعد، التزم بطاعته وأكثر الناس في غفلة عن ذلك نتيجة عدم ظهور الإسلام ونوره في بلاد الأرض، ولا تخش الظلام، ولا تخشَ من عدم وجود مرافقين في الظلام ، ولا تخشَ من انتشار الباطل وشبهاته وشهواته وسيطرته الزائفة فيكفي إرادتك لوجه الله الذي تحبه أعظم الحب هاديًا لك منيـرًا لك الطريق وسط الشبهات والشهوات .

وسقها بذكراه مطاياك

إنه سيكفي المطايا طيب ذكراه حاديًا

وسق نفسك وقلبك رغم الظلمة والانفراد ووحشة الطريق بذكر الله سبحانه ، فإن ذكره سبحانه سيكفي قلبك مهونًا عليه عناء الطريق ووحشته بل مؤنسًا محبِّبًا السير كالحادي للإبل بل أعظم بلا شك : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾.

[الرعد : ٢٨].

وَعِدْها بَرَوْحِ الوَصْلِ تعطيك سيرها

فما شئت واستَبِقْ العظام البواليا

وعِدْ نفسك إذا تعبت من متاعب الطريق وأذى الأعداء ووحشة الإنفراد بالرَوْح أي الراحة التي تحصل لها عند الوصول إلى المحبوب وما يكون لها من أنواع الإكرام والإنعام في الجنة والفوز برضوان الله تعالى، والنظر إلى وجهه فالرجاء من أعظم ما يعين العبد على تحمل المصائب والمشاق في طريق الدعوة والعمل لله سبحانه فسوف تعطيك النفس سيرها كما تشاء سوف تنطلق بأسرع سرعة، واسبق الأموات أي من لم يعرفوا ربهم ولم يوحدوه ولم يحبوا أمره بل هم صاروا لطول موت قلوبهم كالعظام البالية.

فأقدم فإما مُنْيَة أو مَنيَّة

تريحك من عيش به لست راضيا

أقدم في طريق طاعة الله فإن لك إحدى الحسنيين إما تحقيق ما تتمناه من النصر والتمكين فضلاً عما تجده من حب الله وحب الكائنات وذوق حلاوة الإيمان، وإما موت

في سبيل الله فهي الشهادة (مَنِيَّة) موتة تريحك من عيش الدنيا الذي لا ترضى به ولا ترتاح فيها لا أنت ولا غيرك فلا راحة فيها لمؤمن ولا لكافر، لا راحة فيها إلا في طاعة الله ومحبته وإجابة أمره.

فما ثَمَّ إلا الوصل أو كلَف بهم

وحسبك فوزاً ذا إن كنت داعيا

فليس في الطريق إلى الله إلا أن تصل إليه إذا مت على الحق فقدمت على الله أو حييت على الحب والانشغال بأمره وهو الكَلَف، أي شدة الانشغال بحبه وطاعته وكفى بهذا فوزاً معجلاً في الدنيا لو كنت تدرك الحقيقة، فليس من ألذ وأهنأ من طعم الإيمان.

أما سئمت من عيشها نفس وَالهٍ

تبيت بنار البعد تلقى المكاويا

أما مللت من حياة الدنيا والعيش من أجل شهواتها فعيش النفس المتعلقة بالدنيا عيش كئيب مُملّ يلقى الإنسان فيه نار البعد عن الله ويكوي جسده بل قلبه بآلام المعاصي

والذنوب التي تبعده عن الله والواله هو المحب لشهوات الدنيا، والنفس عندهم الصفات المذمومة في الإنسان.

أما موته فيهم حياة ؟ وذلسه

هو العز ، والتوفيق مازال غاليًا

ترغيب في البذل بذل النفس في سبيل الله فإن الموت في سبيل الله هو الحياة (موته موت العبد) فيهم أي في سبيل الله والجمع للتعظيم، قال تعالى: ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٦٩ – ١٧٠] ، وذل العبد له هو العز بعينه، وما إهانةُ الناس في سبيل الله واعتبروه ذلاً وصغاراً في أعينهم هو العز بعينه، وعن قريب سوف يعلمون، كما علمت امرأة العزيز أن سجن يوسف لم يكن صغاراً، وذلاً بل كان ملكًا وعزًا، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٢٣] فكان ذلهم في أعين

الناس لقلتهم وكانوا هم الأعزة بطاعة الله والجهاد في سبيله، وأكثر الناس لا يعرفون هذه الحياة وهذا العز وإنما يوفقه الله لفهم هذه الأمور القلة من الناس والأفذاذ من العالم ولذا فالتوفيق الذي هو من الله هو أمر غال نادر لا يمن الله به إلا على من هو أهل له.

أما يستحي من يدعي الحب باخلاً

بما لحبيب عنه يقول ذا ليا

ألا يستحي من يدعي حب الله وهو لا يريد أن يضحي من أجله بنفسه وماله وكل ما عنده ويبخل عنه به مع أنه في الحقيقة ملك له ليس لمدعي المحبة، هو يقول لك هذا لي[1] اتركه ولا تنازع ومع ذلك تقول له لا، لا أريد أن أعطيك وتبخل عن من تحب بما يملكه ولا تملكه وهو يطلبه منك ولا تريد بذله، وبعد ذلك تدعي المحبة؟ أما تستحي

---

(١) ويحتمل أن يعود الكلام (هذا لي) على مدعي المحبة أي يقول لحبيبه هذا ليس لك هذا لي أفيكون هذا محباً ، فأين التسليم فمن كان يرى لنفسه ملكاً لشيء من نفسه مع ربه فهو لم يُسَلِّم بعد ولم يحب بعد ولعل هذا أقرب .

من هذه الدعوى؟

أما تلك دعوى كاذب ليس حظُّه

من الحب إلا قوله والأمانيا

فليس صادقًا في دعوى الحب من لم يبع لله سبحانه نفسه وماله ويفوض أمره إلى الله ويتوكل عليه ويسلم وجهه إليه، وإنما نصيبه من الحب مجرد الكلام والتمني وليس له من حقيقة الحب نصيب فاللهم نسألك حبك وحب من أحبك والعمل الذي يبلغنا حبك واجعل حبك أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا ومن الماء البارد.

اللهم لك أسلمنا وبك آمنا وعليك توكلنا وإليك أنبنا وبك خاصمنا وإليك حاكمنا، اللهم إنا نعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلنا أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون.

قول النبي - ﷺ -: « **والخير كله في يديك والشر ليس إليك** »

إن إجابة العبد لربه وكونه في طاعته بقوله: « **لبيك**

وسعديك » تقرب العبد من ربه وهو سبحانه يتقرب إليه أضعاف ما يتقرب به العبد إليه كما في الحديث القدسي: « **ومن تقرب إليّ شبراً تقربت منه ذراعًا ومن تقرب إليّ ذراعًا تقربت منه باعًا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة** » [متفق عليه] ، فيحصل من هذا القرب المتزايد أن يحضر القلب بين يدي ربه فيشهد من صفات الكمال والجلال والعظمة ما لم يكن يشهده ويستحضره قبل ذلك، ولا يزال العبد في مزيد من هذا الشهود المستلزم للحب العظيم طالما كان في مزيد من الإجابة والإسعاد لأمر الله سبحانه فإذا شهد ذلك قال: « **والخير كله في يديك** » ويشهد فضل الله وإحسانه وحمده فأسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها جلال وجمال وكمال، وأفعاله كلها خير لا شر في شيء من ذلك قط؛ فليس في أفعال الله شر قط، وليس في مخلوقاته شر محض بل ما خلقه الله من الشر يجعل فيه خيراً من وجه آخر إما لهذا المخلوق الذي اتصف بالشر أو قام به أو فعله إذا تاب ورجع وأناب إلى الله وإما لغيره من المخلوقين الذين يحصل

لهم من أنواع الخيرات بسبب هذا الشر النسبي الذي وقع منه ما لا يحصيه إلا الله وذلك بمجاهدته ومخالفته وكراهيته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما يلقونه في ذلك والالتجاء إلى الله والتحصن به والتعوذ من شره وشهود فضله عليهم ومنته التي لم يوفق غيرهم لها، قال تعالى عن المؤمن: ﴿ **تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ** ﴾ [الصافات: ٥٦-٥٧]، وغير ذلك من أنواع العبوية والخيرات التي لا يحصيها غير الله سبحانه مما يستوجب حمده والثناء عليه به حتى ممن يدخل النار يوم القيامة قال تعالى: ﴿ **وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الزمر: ٧٥]، قال الحسن: إن أهل النار دخلوا النار وإن حمد الله لفي قلوبهم لا يملكون غير ذلك، أي رغم ألمهم وعذابهم وشقائهم لا يملكون أن ينسبوا إلى الله النقص أو الظلم فيما فعل بهم بل لا يملكون إلا أن يُقروا بأنه الحميد وأن له الحمد سبحانه وبحمده لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

وإن العبد المؤمن له أعظم نصيب، حسب إيمانه ويقينه، وعلمه بالله من هذه الجملة الجميلة العظيمة: «**والخير كله في يديك**» إذ هو ينظر فيما يفعله الله به وبغيره ويشهد فضله عليه في المنحة والمحنة والعطاء والمنع، والعطية والبلية ونصيبه من الخير الذي يحصل له أعظم من نصيب غيره لأن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن كما قال رسول الله – ﷺ – متعجباً ومعجباً من أمر المؤمن فإنه والله لأمر عجيب يستحق التأمل والتدبر: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ـ وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ـ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**» [متفق عليه]، فالله سبحانه يجعل فيما يصيب المؤمن من الآلام والمشاق من أنواع اللذات والنعم ما لا يحصل له إلا بالألم وإن كان مكروها له: ﴿**فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ١٩]، ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ**

﴿وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] فإذا شهد المؤمن ذلك رضي بالله ربًا مدبرًا معينًا وكيلاً يفوض إليه أمره كله ويرضى عنه في كل ما يفعله من حيث فعله سبحانه، وإن كان لا يرضى بما لا يرضى به سبحانه من مخلوقاته فهو تابع لأمر ربه الشرعي في محبته وكراهته ورضاه وسخطه يرضيه، ما يرضي ربه ويُسخطه ما يُسخطه ويُحب ما يحبه ويكره ما يكرهه، أما عن فعل ربه فهو دائما حامد له شاهد فيه الخير والكمال والفضل راضٍ به على الدوام، وهذه المسألة من أسباب السعادة المُعجَّلة في الدنيا قبل الفوز الأبدي بها في جواره سبحانه وتعالى، ومن أسباب محبته سبحانه وقرة العين بطاعته – عز وجل –، نسأله سبحانه أن يرزقنا رضاه وحبه والرضا به وعنه – عز وجل –.

وقوله – ﷺ –: «**والشر ليس إليك**» أي لا ينسب إليه – عز وجل – وصفًا أو فعلاً أو اسمًا من أسمائه كما أنه لا يُتقرب به إليه ولا يرضى هو – عز وجل – به، ولا يلزم من ذلك أن يكون الشر خارجًا عن مخلوقاته بل هو من

خلقه بلا شك قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال عن إبراهيم: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، ولكن خلقه سبحانه للشر ليس بشر فهناك فرق بين الخلق الذي هو فعله والمخلوق فالعباد فاعلون حقيقة لأفعالهم خيرها وشرها والله خالقهم وخالق أفعالهم وإرادتهم وقدرتهم وهو الذي جعلها سببًا لوقوع أفعالهم وقدر ذلك، ومن هنا كان وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، فالشر الذي في القدر هو المقدر المخلوق فالله قدر وجود الخير وقدر وجود الشر فهذا معنى الإيمان بخير القدر وشره، وأما فعل الله - عز وجل - فكله خير لا شر فيه البتة والحمد لله رب العالمين.

قوله - ﷺ -: «**أنا بك وإليك**»

فيه تحقيق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فـ«**أنا بك**» فيه معنى الافتقار التام إلى الله والاستعانة به فوجودي وخلقي بك يارب وحياتي وسمعي وبصري وقلبي

بك يارب، وكل قواي وإرادتي وبقائي ليس لي منه شيء يارب إنما كل ذلك بك ، وعبادتي وذكري وتوجهي إليك وركوعي وسجودي وصومي وصلاتي واهتدائي بك يارب، و«**إليك**» فيه معنيان جليلان شريفان.

الأول: أن توجهي إليك وإخلاص وجهي لك وحدك يارب فهو معنى ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ كما كان«**أنا بك**» فيه معنى ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾

الثاني: أن مرجعي ومآلي ومصيري إليك يارب العالمين ففيه تحقيق الإيمان باليوم الآخر: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٨١] وهذا من أعظم أسباب الإخلاص فكلما تذكر الإنسان نهايته وأنه موقوف بين يدي ربه فرداً بلا حجاب ولا ترجمان وأن ما حوله من الناس من أهل وولد وأصحاب وغيرهم كلهم تاركه وحيداً فرداً: ﴿ **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا** ﴾

[مريم : ٩٣-٩٥] فعندما يتذكر الإنسان ذلك يصغر الناس في قلبه وتصغر الدنيا فلا يعمل لهم ولا لها بل يجعل عمله لله وحده لاشريك له ، فهناك ارتباط وثبق بين المعنيين .

قوله - ﷺ - : « **لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك** » .

فيه تحقيق الامتثال لأمر الله تعالى : ﴿ **ففرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ [الذاريات : ٥٠] وهو مثل قول النبي - ﷺ - : « **اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك** » [رواه مسلم] وذلك أن العبد إنما يفر من قدر الله إلى قدر الله ويدافع قدر الله المكروه بقدر الله المحبوب ، وذلك لله سبحانه ، فلا ملجأ يتحصن العبد به مما قد يقدره الله عليه من المكروه والسوء إلا إلى الله سبحانه ولا نجاة للعبد مما يخافه ويحذره ومما أصابه ووقع به من المكروه إلا الله سبحانه ، فالعبد يفر (من الله) أي مما يخافه من عقوبته وسخطه ومعاصيه التي هي أسباب العقوبة (إلى الله) أي بالاستقامة على أمره والعمل

بطاعته والإخلاص له فإنه بذلك ينجو من سخط الله تعالى وعقابه، وهو يعوذ بالله منه سبحانه إذ كل شيء ملك يده وكل شيء بقضائه وقدره، فلا يملك العباد لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فكيف يملكون لغيرهم، وهذا الدعاء يتضمن عدم رجاء الناس ولا خوفهم، فإن ما أصابك - بقدر الله - ما كان ليخطئك، وما أخطأك - مما لم يقدره الله لك - لم يكن ليصيبك، ولو اجتمع الخلق على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف.

وهذه الكلمة والتي قبلها «**أنا بك وإليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك**» تنتظمان الإيمان بالقدر والامتثال للشرع بأيسر عبارة، وأوضح معنى مفهوم، تحل المشكلة التي حيَّرت البشرية البعيدة عن الوحي منذ أزمنة متطاولة في كيفية الجمع بين الأمرين، فالقدر نؤمن به، ونستعين بالله شاهدين قوته وقدرته وحكمه وحكمته وعدله

وفضله، والشرع نعمل به ونخضع له ونستسلم لأوامر الله الشرعية، ونحن مستعينين به في ذلك، راغبين في فضله، راهبين من عقابه، محبين له، ولما يحبه ويرضاه، وفقنا الله لما يحبه ويرضاه.

قوله – ﷺ –: «**تباركت وتعاليت**».

البركة: الخير الكثير، فتبارك الله أي: كثر خيره، وعظمت صفاته، وحسنت أسماؤه – سبحانه وبحمده – ، وهذا من أعظم رجاء يرجو به العبد الخير من ربه، وهو لا يعدم منه الخير أبداً – تبارك وتعالى – .

والتعالي: من صفاته – سبحانه وتعالى –، وهو بمعنى العلو، علو الذات؛ فهو فوق عرشه كيف شاء سبحانه، وعرشه سقف لجميع مخلوقاته، فهو عز وجل فوق خلقه جميعًا ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾ [الأعلى: ١]، ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وعلو الشأن؛ فهو سبحانه متعال في كل صفات كماله عما يضادها من

صفات النقص، فتعالى في وحدانيته وإلهيته عما يشركون، وتعالى في كمال أسمائه وصفاته عما يصفون - أي: المخالفون للرسل -.

وتعالى في كمال ربوبيته وقيوميته عن الظهير والمعين ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

وتعالى في كمال حياته عن السِّنَة والنوم والموت ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨]، ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وتعالى في كمال عدله عن الظلم ولو مثقال ذرة ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

وتعالى في حكمته عن العبث واللعب والسُّدى واللهو ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾ [الأنبياء:

١٦]، ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ [القيامة: ٣٦]، ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين﴾ [الأنبياء: ١٧]، أي: ما كنا فاعلين.

وتعالى في كمال قدرته عن العجز والإعياء والتعب واللغوب ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا﴾ [فاطر: ٤٤]، ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير﴾ [الأحقاف: ٣٣]، ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ [ق: ٣٨].

وتعالى في كمال علمه عن الجهل والنسيان وعزوب شيء عن علمه ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾ [طه: ٥٢]، ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ [سبأ: ٣]، ﴿عالم

﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وتعالى سبحانه في كل صفات الكمال عن أي صفة نقص سبحانه وبحمده ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وعلو القهر؛ وهو المعنى الثالث للعلو ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦] قهر كل شيء، وهو غالب على أمره، لا يُنازَع ولا يُغالَب ولا يُمانَع، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وكل من سواه مقهور تحت أمره سبحانه، وإذا استشعر العبد ذلك تصاغر الخلق في عينه وقلبه، وشعر بأن الأمر من فوق، من عند الله لا من عند الناس ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، واستشعر أن

المُلْك يدبره مالكه الحق من فوق سبع سماوات، وأن أعمال العباد – ومنهم هو – معروضة عليه سبحانه ، وهذا من أعظم أسباب الإخلاص والصدق مع الله سبحانه وتعالى.

قوله – ﷺ – : « **أستغفرك وأتوب إليك** » .

خُتِمَ به هذا الدعاء العظيم الذي هو من معجزات النبي – ﷺ – الباهرة بلا شك ، يعجز الناس أن يأتوا بمثله أبداً ، فكيف بالقرآن العظيم ، وقد تضمن أنواع الخير ومعاني الإيمان وجدد الإيمان في القلب ولم يبق إلا إزالة المعوقات ومحو العقبات ومباعدة الأسباب التي تحول بين القلب وبين الله وهي الذنوب والمعاصي ، فيكون هذا المحو والإزالة بالاستغفار ؛ وهو طلب المغفرة ؛ وهي الستر مع الوقاية من أثر الذنب ، والتوبة وهي الإنابة والرجوع إلى الله بالعمل بطاعته ، نادماً على معصيته فـ«**الندم توبة**» ، كما قال النبي – ﷺ – عازمًا على أن لا يعود للمعصية، مقلعًا عنها بالفعل، مصاحبًا لأهل الصلاح في طاعتهم بقلبه وبدنه، وإن عجز بالبدن فالقلب يكفيه، قد بدل سيئاته حسنات،

فصار يعمل بها عوضًا عن السيئات، فاللهم اغفر لنا وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

إذا استحضر العبد هذه المعاني استعد قلبه أعظم استعداد للدخول في فاتحة الكتاب - بعد الاستعاذة من الشيطان الرجيم - فينهل من كنوزها ويناجي ربه بها، فهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيه النبي - ﷺ -، وهي أم القرآن وهي الصلاة التي قسمها الله بينه وبين عبده ولعبده ما سأل.

أسأل الله أن ينفعنا بالقرآن العظيم وبسنة رسوله الكريم - ﷺ - وأن يجعل قرة عيوننا في الصلاة، وأن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه، والشوق إلى لقائه في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

obeikandl.com